تلمسان في العصور العتيقة

د. محمد الحبيب بشاري
جامعة الجزائر2

ملخص

تتوفر منطقة تلمسان على ظروف طبيعية ملائمة لاستقرار الإنسان، من تربة خصبة ومناخ من معتدل إلى جاف وثروة مائية معتبرة، مما ساعد على ازدهار الحياة بها منذ العصور الغابرة، وهو ما تؤكده المخلفات الأثرية التي عثر عليها في بحيرة قرار وبودغن وأوزدان. والتي تعود إلى آلاف السنين، كما تشير كل المعطيات إلى استمرار الحياة بها دون انقطاع، رغم صمت المصادر الأدبية. أما في العهد الروماني فقد تحولت إلى حلقة من حلقات خط الليمس الروماني، إذ أقامت بها السلطة الرومانية مركزا عسكريا لوحدة الاستطلاع البومارية نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي يسمح بمراقبة شرق موريطانيا الطنجية ومنطقة السهوب. وقد تحولت في وقت قصير من معسكر إلى مدينة واسعة احتوت على كل مقومات المدينة الرومانية. وفي المجال الديني انتشرت بها الديانة الوثنية التي تجسدت في عبادة الكثير من الآلهة الرومانية إلى جانب الآلهة المحلية، ومع نهاية القرن الثالث انتشرت فيها الديانة المسيحية انتشارا واسعا بعد سيطرة الوندال على إفريقية. ومن الناحية السياسية، يظهر أنها تخلصت من الحكم الروماني ابتداء من نهاية القرن الثالث بعد أن قرار روما الاحتفاظ بالمناطق التي تمثل مجالا حيويا فقط, وبذلك انتقلت تبعيتها إلى حكام محليين، وقد استمر هذا الوضع حتى الغزو الوندالي الذي لا نعرف إن مر بتلمسان أم لا.

الكلمات الدالة: العصورالعتيقة، العهد الروماني، خط الليمس، الديانة الوثنية.

مقدمة

برزت مدينة تلمسان في العصور الوسطى (بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر) كحاضرة كبيرة وعاصمة سياسية واقتصادية وفكرية للدولة الزيانية لكن بقي تاريخها القديم مجهولا لأسباب عديدة، منها استمرار الحياة في نفس المكان، فالمدينة الزيانية بنيت تقريبا على أنقاضها، وبالحجارة الرومانية، مما تسبب في اختفاء آثار الشعوب السابقة التي استقرت بالمنطقة. وكذلك عدم تركيز المؤرخين والجغرافيين الكلاسكيين على الجزء الغربي من الجزائر أو مقاطعة موريطانيا القيصرية بقدر تركيزهم على الجزء الشرقي منها، بسبب ما شهده هذا الأخير من أحداث سياسية وعسكرية خلال المراحل التاريخية السابقة (البونيقية والنوميدية

والرومانية)، وكذلك للدور الاقتصادي الذي لعبه في حياة المغاربة والقرطاجيين والرومان، لذلك لم نجد إلا الجغرافي بطلميوس الذي ذكر منطقة غرب موريطانيا القيصرية وبشكل مختصر، إذ اكتفى بالتكلم عن تضاريس الإقليم وتعداد المدن والقبائل التي استقرت بها. وقد سار المؤرخون والأثريون الغربيون المعاصرون على خطاهم فقد ركزوا على الشرق الجزائري(نوميديا وشرق موريطانيا القيصرية) وأهملوا القسم الغربي للأسباب المذكورة آنفا، رغم ما ضمّه من مدن كبرى مثل سيغا (Siga) عاصمة صفاقس، وما شهدته من أحداث، ومنها أسر الملك النوميدي يوغرطه. أما المؤرخون والجغرافيون المسلمون، فقد ركزوا على تاريخ المنطقة في الفترة الاسلامية، واهملوا الفترة العتيقة إذ لا نجد إلا بعض الاشارات العابرة من حين إلى آخر. نتيجة لكل ذلك لم يجد المؤرخون المعاصرون مادة كافية يعتمدون عليها في دراسة تاريخ منطقة تلمسان في العصور القديمة، وهذا ما سنحاول تناوله ولو باختصار في هذا البحث.

تلمسان بين الأسطورة والحقيقة التاريخية

تقع مدينة بوماريا (تلمسان) في أقصى غرب موريطانيا القيصرية، وهي تحتل موقعا استراتيجيا مهما بحيث تتوسط المنطقتين الساحلية في الشمال والأستبسية في الجنوب. وتقع بالقرب من الممر الطبيعي الوحيد الذي يربط موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية، وهو ممر تازة، كما أنها تشرف على المنطقة التي تتنقل فيها القبائل المورية، التي لم تكن تتردد في غزو الأراضي الشمالية

ومن الناحية الطبيعية تتميز منطقة تلمسان بظروف طبيعية ملائمة لاستقرار الإنسان، فهي تقع على السفوح الشمالية لمرتفعات تلمسان، هذه المرتفعات التي تحميها من الرياح الجنوبية الجافة، التي تؤثر سلبا على المزروعات، كما تجعلها في مأمن من غزوات البدو الذين يتنقلون في منطقة الإستبس[1]، وتتوفر على سهول خصبة يصل ارتفاعها أحيانا إلى 800 م، مما منحها مناخا من معتدل إلى شبه جاف نسبيا، ومصادر مائية ساعدت على ازدهار الحياة بمختلف أشكالها النباتية والبشرية والحيوانية سواء مياه الأمطار التي تتساقط بمعدلات معتبرة، أو الينابيع الكثيرة بالإضافة إلى المياه الباطنية، وهذا ما سهّل تمركز الإنسان بها منذ العصور الغابرة، كما تدل على ذلك بعض المخلفات الأثرية، وربّما هذا ما جعل سكانها في العصور الوسطى ؛ مثل بقية شعوب العالم القديم ؛ يعطون مدينتهم أصولا أسطورية، فهم يعيدون تأسيسها إلى ما قبل النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلادي، حيث كانت حسبهم قائمة أيام النبي موسى عليه السلام الذي زارها

1 - شنيتي، محمد البشير(1999). الجزائر في ظل الاحتلال الروماني : بحث في منظومة التحكم العسكري الليمس الموريطاني ومقاومة المور، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 232.

صحبة الولي الصالح أو النبي الخضر، إذ يذكرون أنها كانت مسرحا لما جاء في الآية الثمانين من سورة أهل الكهف التي جاء فيها بعد باسم الله الرحمان الرحيم "... أما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا، فأراد ربك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربّك،...".

وفي هذا الشأن كتب القزويني[2]: "قرية صغيرة بالمغرب ذكروا أن القرية هي التي ذكرها الله تعالى في قصة الخضر وموسى، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما فوجدا جدارا يريد أن ينقض، فأقامه قيل أنه كان جدارا عليا عريضا مائلا فمسحه الخضر بيده فاستقام. وحدثني بعض المغاربة أنه رأى بتلمسان مسجدا يقال له مسجد الجدار يقصده الناس لزيارته". وهي نفس القصة التي ذكرها وفندها عبد الرحمان بن خلدون بقوله :"... ولم نقف على أخبارها (تلمسان) فيما قبل ذلك، وما يزعم بعض العوام من سكانها أنها أزلية البناء، وأن الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة الخضر وموسى عليهما السلام هو بناحية أغادير منها، فأمر بعيد التحصيل لأن موسى عليه السلام لم يفارق المشرق إلى المغرب، وبنو اسرائيل لم يتسع ملكهم لإفريقية وظلا عما وراءها، وإنما هي من مقالات التشيع المجبول عليه أهل العالم في تفضيل ما ينسب إليهم أو ينسبون إليه من بلد أو أرض أو علم أو صناعة..."[3].

وفي نفس الموضوع كتب عبد الباسط الظاهري بين1465 و1467 : " مسجد يقال له" مسجد الجدار" يزوره أهل تلمسان وعليه أنس وخفر، ويزعم أهل تلمسان بأنه مكان الجدار الذي أقامه السيد الخضر".[4]

ورغم أن القرآن الكريم لم يحدد المكان الذي وقعت فيه هذه الحادثة ولا تاريخها، ولا ماهية الشخصية التي اصطحبت النبي موسى عليه السلام، فقد تباينت آراء علماء الدين والمؤرخين في تفسير أحداث هذه السورة، لذلك اكتفوا بوضع فرضيات، فبالنسبة للمكان، حدده البعض ببحر الروم، وقيل بحر الأردن أو القلزم، وكذلك طنجة وإفريقيا وبحر الأندلس. لكن وبغض النظر عن كل هذه الفرضيات فالكل متفق على أن النبي موسى عليه السلام لم يزر المغرب، وبالتالي لا يمكن أن يكون ما ذكره سكان المنطقة حقيقة تاريخية. نفس الشيئ ينطبق على ما ذكر حول زيارة النبي سليمان الذي عاش في حوالي 1000 ق م لتلمسان.

---

2 - آثار البلاد و أخبار العباد، تصنيف الامام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني، مصر 1848، ص، 115.

3 - تاريخ العلامة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزائر، 0072 ج4، ص 258.

4 - مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط " الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، 1462 /1467، الجزء الأول، الورقة ة تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الجامعة اللبنانية، بيروت.

أما البكري فكتب بشأن تلمسان " فيها آثار قديمة وفيها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا، ولهم بها كنيسة معمورة وأكثر ما يوجد الركائز في تلك الآثار، وكان الأوائل (شعوب العصور العتيقة) قد جلبوا إليها الماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال... وفي الشمال من تلمسان جبل يسمى جبل البغل ينبعث من أسفله نهر سطفسيف (وادي مفروش)، ويصب في بركة عظيمة من عمل الأوائل، ثم ينبثق منها بحكمة مدبرة إلى موقع يسمى المهماز..."[5].

إن كل هذه الأساطير وما جاء على لسان البكري تؤكد شيئا واحدا هو أن المنطقة كانت عامرة بالسكان منذ أمد طويل، وهو ما تؤكده المخلفات الأثرية التي عثر عليها بمحيط مدينة تلمسان. ففي بحيرة قرار وجدت عظام حيوانات عاشت في المنطقة في عصور ما قبل التاريخ، منها الفيل(Elephas atlanticus) ووحيد القرن وفرس البحر والخنازير والحمار الوحشي، إلى جانب أدوات بدائية مصنوعة من حجر الصوان، استعملها الانسان في حياته اليومية، مثل المثاقب(Poinçon) والمكشاط (Grattoir) والكشاطات (Racloir) والشفرات[6]. ونفس الأدوات عثر عليها في مواقع أخرى، منها المويلح قرب لالا مغنية[7]. كما اكتشف الأثريون عددا كبيرا من الكهوف نحتها الإنسان، وسكنها تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، منها أكثر من 100 كهف في بودغن ولالا ستي والقلعة وقرية بوبلان، ومن بين الأدوات التي احتوتها هذه الكهوف، صاقلة للحجر عثر عليها في باب القرمدين ومعاول مصقولة وجدت في بودغن و2000 قطعة مصقولة مختلطة بعظام بشرية تعود إلى العصر الحجري المتوسط في كهوف لالا ستي. أما موقع أوزدان فقد مدّنا بسهام تعود إلى العصر الموستيري (بين 40000 و25000 سنة) استعملها الانسان في الصيد[8]. لكن ولإسباب نجلها لم يعثر الأثريون على ما يدل على استمرار الحياة في المنطقة حتى الاحتلال الروماني. لكن هل يعني أن المنطقة هجرت كلية ؟ لا نعتقد ذلك، فبعض المؤشرات توحي أن الأهالي حتى وإن لم يستقروا بها، كانوا يترددون عليها. فقد أشار الجغرافي بطلميوس[9] إلى قبائل كثيرة كانت

---

5 - أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والغرب"، جزء من كتاب المسالك و الممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ص 76.

6 - Aumassip, Ginette (2001). L'Algérie des 1° hommes, p, 31.

7 - Gsell, S. (1979). Histoire ancienne de l'Afrique du nord. Onsabruck, t. I, p 189.
- Barbin , Bulletin d'Oran , 1910, PP, 82-83

8 - Pallary, P. (1895). Recherches palethnologiques effectuées aux environs d'Ouzidan , Bulletin de la société d'anthropologie de Paris, IV° série t. 6, p 91.

9 - ولد بطلميوس(Ptolemaeus Claudius) بمصر في حوالي 90 م. ومات في كانوبي في 168 م. له عدة مؤلفات في علم الفلك والجغرافيا، هذا الأخير الذي اعتمد في تأليفه على مصادر عديدة يعود معظمها إلى القرن الأول وبداية القرن الثاني ميلادي، ومن أهمهم مورنوس الصوري (Tyr de Murinus)، وبالتالي فهي مصادر تعود إلى ما قبل تأسيس المركز العسكري الروماني الذي حمل اسم بوماريا بعشرات السنين.

تستقر بالمنطقة، منها قبائل الهربدتاني (Herpeditanes) والصورس (Sôres) والتلادوسيين (Teladousien) والماكوزيين (Makhousien) وبافار الغرب، وغيرهم من القبائل المورية، وفي هذا الشأن كتب :" كانت المنطقة الغربية لموريطانيا القيصرية مأهولة من طرف الهربدتان (Herpeditanes) الذين يقيمون في سفوح جبل خالكورخية (Khalcorykhien) (جبال بني سناسن التي تمتد بين غرب موريطانيا القيصرية وشرق موريطانيا الطنجية)[10]، وجنوبهم نجد قبائل التلادوسين(Teladousien) وقبائل الصورس(Sôres) ثم المسايسليين..."[11]

من هذا يتضح أن عدة قبائل استوطنت المنطقة المنحصرة بين البحر الأبيض المتوسط في الشمال ومنطقة الإستبس في الجنوب، ووادي ملوشة في الغرب، وجبال بني سناسن ودردوس (جبال تلمسان) في الشرق، عشرات السنين قبل تأسيس الرومان لمركز بوماريا العسكري.

انطلاقا من هذا نتساءل متى وأين عاود الانسان الاستقرار في المنطقة ولماذا؟ وبماذا تميز المركز السكني الجديد؟

معروف أن منطقة المغرب شهدت في العصور التاريخية القديمة عدة تطورات أبرزها الصراع القرطاجي الروماني فيما عرف بالحروب البونية، والذي انتهى بسقوط قرطاجة تحت الاحتلال الروماني سنة 146 ق.م. ثم جاء دور نوميديا لتضم إلى الأملاك الرومانية سنة 46 ق.م. وبعدها بقرابة قرن سقطت موريطانيا سنة 40 م. هذه التي مهّد أغسطس لإحتلالها بإقامته عدة مستعمرات على ساحلها الغربي، منها قوراية (Gunugu) وتنس (Cartennae)، ومراكز أخرى داخلية.

وقد توسعت روما في الأراضي الساحلية والداخلية لقرطاجة ونوميديا، لكن اختلف الوضع في المنطقة الغربية، حيث انحصر توسعها في المنطقة الساحلية، وهي المنطقة التي حرصت روما على حمايتها من الخطر القادم من الجنوب والغرب، بإقامتها خطا دفاعيا (خط الليمس)، امتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، ليقترب من الساحل في أقصى غرب موريطانيا القيصرية، لكن هذا الوضع جعل المراكز الرومانية الغربية تقع تحت تهديد القبائل المورية المنطلقة من الجنوب والغرب باستمرار، وخاصة قبائل بفار (Bavare) الغرب، مما دفع بالسلطة الرومانية إلى تدعيم وجودها في هذه المنطقة بإقامة بعض المستعمرات والمراكز العسكرية من بينها مراكز ألتافا (Altava، أولاد ميمون)، نومروس سيرورم (Numerus syrorum (مغنية) و(بوماريا) (Pomaria) (تلمسان)، بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث ميلادي، على يد الإمبراطور سيبتموس سيفروس

10 - Mac, Carthy O. (1856). Algeria Romana, recherches sur l'occupation et la colonisation de l'Algérie par les romains subdivision de Tlemcen, R.Af. n° 1, p 347.

11 - Ibid, p 352.

(Septimus Severus). لقد اختارت روما لهذه المراكز مواقع استراتيجية، بالاضافة إلى توفرها على مؤهلات اقتصادية.

مركز بوماريا

اعتقد الأثريون والمؤرخون لمدة طويلة أن مستعمرة تميكي (Timici) [12]، هي مدينة تلمسان وهذا لتشابه الإسمين، بينما أعادها الدكتور شو((Thomas Shaw إلى مدينة لانغيرا (Lanigara)[13] لكن الأثار التي عثر عليها في قاعدة منارة مسجد أغادير، التي بنيت بحجارة مباني رومانية أزاحت اللثام عن إسم مدينة تلمسان في العصر الروماني، إذ جاء في إحدى النقوش :

إلى الإله المقدس أولسوة (Aulisua) فلافيوس كاسيانوس قائد كتيبة الاستطلاعيين البوماريين	DEO SANCTO AVLISVAE FL. CASSI ANUS PRAE FEC. ALAE EXPLORA TORUM POMARIENSIUM

وفي نقيشة أخرى نقرأ :

إلى أولسوة الإله الذي لا يقهر قائد الجناح الاستطلاعي البوماري الغورديانـي.	DEO INVICTO AVLISVAE .... ALAE EXPL. PO MAR. GORDIA .NAE ET PROC AUG. N

12 - Marmol y carvajal , L'Afrique , traduction Nicolet Perrot , edit., L.Billaine , Paris, 1667, p,328 ;

لقد تأكد اليوم أن (Timici) تميكي هي مدينة عين تموشنت.

13 - (Château d'Isly)

أظهرت الأبحاث الحديثة أن هذه الأخيرة تقابل مدينة

Voyage dans la régence d'Alger, trad.de l'anglais par J.Mac Carthy, Tunis ,

ويدعم هذا الرأي نصبا ميليا عثر عليه في لالا مغنية جاء فيه :

الإمبراطور القيصر	IMP. CAES
ماركوس أورليوس سيفروس	.M. AVREL
	SEVERVS
.....	.....
التقي	PIVS FELIX
أغسطس السعيد	AVG. MILI
وضع هذه النصب الميلية	ARIA POSV
من طرف الوكيل المتسامح	.PER. P. FI
	.CLEMEN
من سير(Syr) إلى بوماريا	.PROC. S
XXVIII M.P	AN SYR POMAR
إلى سيغا XXXVI M.P	M. P. XXVIIII
	SIG. M. P. XXXVI

تؤكد المسافات الفاصلة بين مغنية وبوماريا والمقدرة ب 28 ميلا(42949 متر)، وبين مغنية وسيغا وهي 36 ميلا(53316 متر)[14] أن بوماريا هي مدينة تلمسان. أما عن تاريخ تأسيسها فإن نقيشة النصب الميلي المذكور تبرز أنها تعود إلى عهد الامبراطور اسكندر سيفروس (222/235)(Alexandre Severe م.)، فهي تعود إذا إلى الربع الأول من القرن الثالث ميلادي.

إن اختيار الرومان مكان إقامة بوماريا كمركز عسكري ثابت (Castra stativa) متقدم، لم يكن صدفة، بل جاء نتيجة أهمية موقعها الإستراتيجي، فهي تقع قرب ممر تازا الرابط بين موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجة، وبالتالي فهي تؤمن الاتصال بين المقاطعتين. وكذلك تؤمن غرب مقاطعة موريطانيا القيصرية من خطر الأهالي، الذين لم يكونوا يترددون في الهجوم على المراكز الشمالية وخاصة قبائل البافار، وهي بذلك تدعم مجموعة المراكز العسكرية الأخرى التي أقيمت في الإقليم. كما تضمن تنقل البريد الروماني في ظروف السلم والحرب[15] ، خاصة أمام استحالة استعمال النقل البحري لفترة من السنة، لصعوبة الابحار.

وخلاصة القول، لا نعتقد أن الرومان غامروا بترك جزء من أراضيهم التي ضموها في سنة 40م. معزولا وتحت تهديد القبائل المورية المتواجدة بالمنطقة.[16] وهذا

14 - Ibid, p, 94.

15 - Carcopino (J). La fin du Maroc romain, Mel.archéo.et Histoire, 1940, vol, 57, pp. 357-358.

16 - M.de la Marinière, B. archéo., 1912, p, 164

ما يتأكد من خط الليمس الثاني الذي أقامه الرومان لتوفير الحماية للسهول العليا الغربية، فقد ربط أوزيا (Auzia)(سور الغزلان) بمدينة نومروس سيروروم (Numerus syrorum)(مغنية) عبر رابدوم(Rapidusm)(سور جواب) وأوسنازا (Usinaza)(سانغ) وكوهور بريوكوروم (Cohors Breucorum)(هنشير سويق) ثم ألا ماغنية (Ala Marnia)، (بنيان) فمركز لوكو(Lucu) (تيم زوين) وبعدها تساكورة (Tasaccora) (سيدي علي بوناب) فألتافا وأخيرا بوماريا[17].

كما أن لاختيار بوماريا كمركز حدودي أسباب اقتصادية، ذلك أن روما تعودت على ربط إقامة مراكزها العسكرية بالحيوية الاقتصادية للإقليم المراد مراقبته، لأنها لم تكن تضمن التموين لجيوشها، فقد كان على الجنود توفير غذائهم بأنفسهم، إما بالاحتفاظ بجزء من الضرائب التي يدفعها الأهالي، أو باستغلال الأراضي الزراعية الموضوعة تحت تصرفهم، وهذا ما يتوفر لدى مركز بوماريا الذي يتوسط أراض زراعية خصبة، فمعنى بوماريا باللاتينة هو البساتين.[18]

من كل ما سبق تتضح أهمية مركز بوماريا في المنظومة العسكرية الرومانية في حماية غرب موريطانيا القيصرية، سواء من خطر الأهالي المستقرين في الجنوب الغربي، أو تهديد سكان جبال الريف في الغرب.

وقد اعتبر الكثير من المؤرخين أن وحدة الاستطلاع التي تمركزت في بوماريا انفردت بتسميتها النادرة في تاريخ الجيش الروماني، إذ حملت اسم المدينة التي تمركزت بها وهو الجناح الاستطلاعي لبوماريا (Alae exploratores Pomarienses)، في حين جرت العادة أن تنسب الوحدات العسكرية إلى الأماكن الذي يجند فيها أفرادها[19] مثل:

الكتيبة الفلافية الإفريقية الأولى (Cohors I Flavia Afrorum)[20]. وقد جنّد أفرادها في مقاطعة إفريقية.

كتيبة الكالكيدونيين الأولى (I cohors de Chalcidonien) [21]. ينتمي أفرادها إلى مقاطعة كالكدونيا بآسيا الصغرى على سواحل مضيق البوسفور.

كتيبة تراقيا الثانية (II cohors de Thrace) [22]. جند أفرادها في مقاطعة تراقيا.

---

17 - Carcopino,(J), op cit, p, 362.

18 - شنيتي ، المرجع السابق، ص، 233.

19 - Cagnat (R). L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1892, p, 249 ; Claude Briand-Ponsart , identité et culture dans l'Algérie antique, le Havre, 2005, p, 247.

20 - Benseddik (N). Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Mauretanie Cesarienne sous le haut empire, edit. SNED, Alger (sans date), p., 31.

21C.I.L., VIII, 17586; 17589.

22 - Benseddik (N). op cit, p., 43.

كتيبة الوزتانيين الثامنة (VIII cohors de Lusitanien)، التي جندت في مقاطعة لوزتانيا بالبرتغال اليوم.
الكتيبة الاسبانية (Cohors Hispanorum)[23] ، كما تدل تسميتها ينتمي جنودها إلى إسبانيا.
نعتقد أن نسبة وحدة الاستطلاعيين إلى بوماريا ليست فريدة، وأن روما احترمت مبدأ نسبة الوحدات العسكرية إلى مكان تكوينها، ولم تستثن من ذلك وحدة الاستطلاعيين التي تكونت في بوماريا لأنه حسب رأينا اعتمدت روما في تكوين هذه الوحدة على الموريين المنحدرين من المنطقة لمعرفتهم الجيدة بتضاريس المنطقة وسكانها، نظرا للوضع الأمني غير المستقر الذي كان سائدا في أقصى موريطانيا القيصرية على الحدود مع موريطانيا الطنجية، لتتعاون مع الوحدة المتمركزة في نومروس سيروروم (مغنية) ووحدة ألتافا[24] في صد أي خطر قد يأتي من الجنوب أو الغرب، ونستشهد على ذلك من تسميتها، ومن الإهداءات الموجهة للإله الموري أولسوة[25].
وإذا عدنا إلى مدينة بوماريا، فإن المؤرخين يعيدونها إلى المركز العسكري الذي أقيم على الحدود مع موريطانيا الطنجية، والذي تمركزت به وحدة الفرسان الاستطلاعية لبوماريا. وتدل القليل من الآثار التي كانت لا تزال قائمة في السنوات الأولى للإستعمار الفرنسي، أن المركز العسكري امتد على مساحة 7 هكتار. لكن وفي وقت قصير استقر بجواره عدد من السكان من الأهالي وقدماء الجنود لأسباب أمنية واقتصادية[26]. وبذلك تحول المركز العسكري إلى مدينة بلغت مساحتها أكثر من 16 هكتارا [27]، بقيت آثارها بادية للعيان عند دخول الاستعمار الفرنسي. فقد كتب ماك كارتي في سنة 1857 :" تمتد وسط منظر رائع آثار أطلق عليها العرب اسم "الحجارة الرومانية " لما ندرسها بدقة نتعرف على الأجزاء الأساسية للمدينة، التي كان مخططها مستطيلا متجها من الشمال إلى الجنوب يبلغ طوله 370 م. وعرضه 317 م. إنه يمثل المركز الثابت (Castra stativa)،

23 - Cagnat (R), op cit, p, 203.

24 - Claude Briand Ponsard,op cit, p, 248.

25 - C.I.L.VIII, 9906 ; 9907; 21704.

26 - نؤمن بفكرة أن الأهالي استوطنوا المنطقة منذ زمن طويل، خاصة أنها تتوفر على كل عوامل الاستقرار من أرض خصبة وثروة مائية ومناخ ملائم وثروة نباتية وحيوانية متنوعة، وهذا ما ابرزته لنا المخلفات الأثرية لعصور ما قبل التاريخ سواء في هضبة لالا ستي أو أوزدان وبحيرة قرار...

27 - Mac Carthy , op cit, p, 94 ; Le commandant de Pimodan , Oran , Tlemcen sud Oranais 1889-1900, Paris 1902, p, 41.

الذي يلامس طرفه الجنوبي الوادي الذي بني فوقه جسر صغير[28]. وقد كان يحيط بالمدينة سوران يفصل بينهما خندق، بني عليهما عدة أبراج مراقبة، منها ثمانية في السور الشمالي، وخمسة في السور الشرقي، ونتصور أن السورين الغربي والجنوبي الذين اختفيا، احتويا بدورهما على أبراج مراقبة. وقد عثر في أنقاض المدينة على أعمدة وبعض القطع من الرخام، كما كشف انهيار مسجد سيدي غلاي سنة 1912 على 14 جذع عمود رخامي طول كل واحد منها مترين، و14 أخرى مهشّمة، بالاضافة إلى ذلك عثر على بئرين وقنوات صرف، وأخرى لنقل المياه أطلق عليها الأهالي اسم "ساقية النصراني" [29] ربما هي نفس القناة التي تكلم عنها البكري.

يتضح من الآثار القليلة سالفة الذكر أن بوماريا احتوت ؛ بالإضافة إلى المؤسسات الإدارية الضرورية لتسيير مدينة رومانية ؛ على كل ما يتطلبه مركز حضري روماني، منها الفوروم بكل مكوناته كالمعبد والمتاجر والحمامات، وهذا ما كشفت عنه نقيشة وجدت بعارضة في جدار منارة مسجد أغادير، تنص على ترميم حمام مخصص للجنود، من طرف شخص يدعى كايكليوس إيوفنوس إذ جاء فيها:

CAECILIUS JOVINUS
BAL NEUM.CASTRORUM RESTITUTUM
C.VURANTE CAECILIO IOV, NO

إن كل العوامل سالفة الذكر أهلت بوماريا أن ترتقي إلى مصاف البلدات الرومانية (Respublica)، وهذا ما يبرزه نص نقش على النصب الميلي الذي عثر عليه بتلمسان، فقد جاء فيه:

أمر الإمبراطور أسكندر سيفروس حفيد الإمبراطور سيبتموس سيفروس بوضع النصب الميلي البروكراتور تيتوس إيليوس دكريانوس مدينة بوماريا	DIVI SEVERI.NE POS.MILIARIA NOVA POSUIT PERT.AEL DECRIA NUM PROC .SVVMR.P.P

28 - Mac Carthy (O), op cit , p, 95.

29 - Yahiaoui (Nora), op cit, p, 93.

حيث تعني الأحرف الثلاث الأخيرة (R.P.P.)(R(es) P(ublica) Pomariensium)، بمعنى بلدة بوماريا مما يدل على أن المدينة كان لها نفس النظام الذي ساد في المدن الرومانية[30] ومنها تمتعها باستقلال ذاتي ومالي[31].

إلى جانب الآثار سالفة الذكر، انتشرت حول مدينة بوماريا عدة نصب ميلية تشير إلى طرقات كانت تربط المدينة بمحيطها، مما ضاعف من أهميتها الاستراتيجية. إذ كانت نقطة انطلاق والتقاء عدة طرقات منها، طريق مينائي بورتوس ماغنوس ووهران عبر ألبولاي (عين تيموشنت)، وهو ما تؤكده بعض الآثار الرومانية، منها حنفية رومانية، يطلق عليها الأهالي اسم "حنفية الرومان"[32] وطريق سيغا وميناء بورتوس سيغنسيس(Portus Sigensis) عند مصب وادي التافنة[33].

كما تؤكد الآثار المختلفة لمراكز عسكرية ومستعمرات ونصب ميلية وجود طريق تربط بوماريا بمدينة روسوكرو (دلس) مرورا بمدينة معسكر وسيدي بلعباس[34]. بالاضافة إلى وجود طريق شمالية شرقية في اتجاه تبيداي (Tepidae بني صاف)، ومن المحتمل أنها تستمر في اتجاه تساكورا (Tasacora سيغ) وألاّ ملياريا و(Ala Miliaria بنيان)[35] بالإضافة إلى ربطها خط الليمس الساحلي بخط الليمس الداخلي[36].

الحياة الدينية في بوماريا

ساعدت نقيشتان اكتشفتا في تلمسان على التعرف على الاسم الروماني للمدينة العتيقة ؛ كما تمت الإشارة إلى ذلك فيما سبق ؛ في نفس الوقت عرّفتنا بإله أعتبر محليا في البداية، وهو الإله أولسوة (Aulisua)، إذ جاء في النقيشة الأولى:

30 - Piesse (L). Tlemcen, Revue de l'Afrique française et des antiquités africaines, 1888, t, 6 , p, 157.

31 - يستعمل للدلالة على مجموعة بشرية تتمتع باستقلال ذاتي ، (Res publica)بلدة إن مصطلح)
Gascou (J) ,L'emploi du terme Respublica dans l'epigraphie latine africaine, M.E.F.R.A ,1979 , Vol ,91,1,p, 384.

32 - De Tugny (M) , Antiquités romaines de la subdivision de Tlemcen (Algérie), congrès archéologique de France , 22° session , 1855, p, 480.

33 - Marçais (G), 1950, p, 8 ; Mac Carthy, p, 348.

34 - De Tugny (M) , op cit, p, 480.

35 - Gsell (S). Atlas Archéologique d'Algérie , f, 31, n° 56.

36 - Massiera (P). La voie romaine de Pomaria a Siga(Takembrit, S.G.A.O., t, 68, 1947, pp, 124-125.

إلى الإله المقدس أولسوة فلافيوس كاسيوس قائد كتيبة الاستطلاعيين البوماريين	DEO SANCTO AULISUAE FL. CASSI ANUS PRAE FEC. ALAE EXPLORA TORUM POMARI ENSIUM

ونقرأ في النقيشة الثانية:

إلى الإله الذي لا يقهر أولسوة ////////// قائد جناح الاستطلاعيين البوماريين الغوردية ووكيل سيدنا العظيم	DEO INVICTO AULISUA ////////// ALAE EXPL. PO MA. GORDIA NAE ET PROC AUG. N

لقد اعتبر أولسوة في البداية إلها محليا، إذ لم يعثر عليه إلا في مدينة بوماريا وعين كيحل، لكن تغير الوضع بعد أن اكتشف مذبح ونصب له في مدينة وليلي (Volubilis) بموريطانيا الطنجية على بعد 400 كلم من بوماريا[37]، مما يعني أن هذا الإله لم يكن إلاها محليا بل إقليميا. وفي هذا الشأن نتسائل عن أسباب وجود عبادة هذا الأله في منطقتين متباعدتين، دون غيرهما من المناطق، فهل كان الانتقال من بوماريا إلى وليلي أم العكس؟

ولماذا لم يوجد له أي أثر في المنطقة الفاصلة بين المدينتين، وهي كبيرة نسبيا (400 كلم) ؟ إن هذه الأسئلة تبقى اليوم بدون إجابة في انتظار العثور على آثار تدل على عبادة هذا الإله في غرب بوماريا أم في شرقها.

وقد حاول بعض الباحثين ربط عبادة الإله أولسوة بشعب بافار(Bavare) الغرب،

37 - Brahimi, Najet (2008). Volubilis approche religieuse d'une cité de Maurétanie Tingitane (milieu du 1° siècle / fin du 3° siècle ap.J.C), thèse de doctorat, université du Maine, p 297.

الذي يعيش بين ضفتي وادي ملوشة، وشعب الباكوات (Baquate) الذي يستوطن في منطقة وليلي[38].

والآن نتسائل عن شكل هذا الإله واختصاصاته، فبالنسبة للنقطة الأولى، عثر في وليلي على نصب يبرز في واجهته اليسرى الإله أولسوة واقفا فوق مصطبة، يرتدي قميصا قصيرا بأكمام طويلة، يحمل في يده اليسرى هراوة، وفي يده اليمنى قصبتين، يظهر أنهما تحملان سنابل غير محددة النوعية، وفي واجهته اليمنى يظهر حصان وقصبتان طويلتان[39]. ونشاهد في نصب ثان له، كبشا أمام مذبح مع نقش جاء فيه : أولسوة العظيم المقدس (Aulisua Augusto sacrum).

لقد ساد الاعتقاد لمدة طويلة أن أتباع أولسوة ينحصرون في أفراد الجيش، بحيث انحصرت أولى النقوش المكتشفة المرتبطة به، في إهداءات جنود وحدة بوماريا، لكن الوضع تغير بعد اكتشاف نقيشة مدينة وليلي بموريطانيا الطنجية، وهي عبارة عن إهداء مواطن من طبقة العامة جاء فيها: " قدم فالريوس فيكتور معتوق تورنو إسكافي في اليوم الثاني عشر من كلاند شهر سبتمبر قربانا إلى الإله أولسوة".

إن النقيشة الأخيرة غيرت رأينا في أتباع الإله أولسوة، وأظهرت أن هؤلاء لا ينحصرون في الجنود كما كان الإعتقاد سائدا، بل ينتمون إلى مختلف فئات المجتمع، وهذا ما أكّده غابريال كامبس، بحيث اعتبر أن اتباع الآلهة المورية لا ينحصرون في فئة معينة أو طبقة محددة، فمنهم الرومان والموريين، المدنيين والعسكريين[40].

أما بشأن اختصاصات هذا الإله، فإن الباحث لونوار(Lenoir)، وبالاعتماد على إهداء إسكافي مدينة وليلي المحدد بتاريخ 21 أوت، الذي يقابل تاريخ الاحتفال بالإله الروماني كونسوس (Consus)، المكلف بحماية البذور والحبوب المخزنة[41]، والذي يقدم له أتباعه المحاصيل المبكرة كقربان، وبالاعتماد على صورة أولسوة ويهو يحمل في يده قصبتين تحملان سنابل، وعلى صورة الحصان التي تظهر في نصب وليلي، اعتبر أولسوة إلاها للخصوبة والإنتاج والضامن للمحصول الجيد[42]. إن هذا الرأي محتمل خاصة أن بوماريا تعتبر منطقة زراعية مثل وليلي، نظرا لما تتوفر عليه من تربة خصبة وثروة مائية معتبرة تساعد على تنشيط الحياة الزراعية.

38 - Camps, G. (1990). Qui sont les dii mauri, Antiquités africaines, t. 26, p 13.

39 - Lenoir, M. (1985). Aulisua dieu maure de la fécondité, Africa Romana, p 296.

40 - L'inscription de Béja, p 240.

41 - Schmidt, Joël (1965). Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, éd. Larousse, p 82, Paris.

42 - Yahiaoui, N. Les confins occidentaux de la Mauretanie cesarienne, p 100.

إلى جانب أولسوة وجدت في غرب موريطانيا القيصرية آلهة أخرى، احتفظت بأصالتها ولم تترومن ولذلك عرفت بالآلهة المورية (Dii mauri) [43] من بينها الإله أبادير (Abbadir) وأوزيوس (Auzius)، وكنافاري (Canapphari) وشالماك(Chalimace) وغورزيل(Gurzil)... التي مثلها مثل أولسوة عبدت من طرف الأهالي والرومان في نفس الوقت، وخاصة العسكريين منهم، الذين لم يكونوا يترددون في التوجه بالدعوات وتقديم القرابين إلى آلهة الشعوب التي يحاربونها لكسب حمايتها وضمان دعمها لهم لكسب الانتصارات[44]، لا سيما أن تعدد العبادات لدى السكان الأوائل كان ظاهرة عادية، وخاصة بالنسبة لسكان المناطق الخطرة مثل المدن الواقعة على خط الليمس، ومنها بوماريا وهذا لتدعيم حظوظهم في كسب الحماية من الأخطار المحدقة بهم[45].

وفي الأخير نستخلص من وجود الإله أولسوة، والآلهة المورية الأخرى مثل غورزيل (Gurzil) وباكاكس (Bacax)[46]، أن الآلهة المورية احتفظت بإفريقيتها من حيث التسمية، وبعدم اندماجها في زمرة الآلهة الرومانية (Pantheon)، مما حدى بالمؤرخين إلى إدراجها في قائمة الآلهة المورية (Dii mauri) الغير قابلة للرومنة[47].

ويظهر أن الديانات الوثنية استمرت منتشرة في غرب موريطانيا القيصرية حتى القرن الرابع ميلادي، حيث تأخر وصول المسيحية إليها، إذ لم تظهر آثارها إلا ابتداء من نهاية القرن الثالث ميلادي وبشكل محدود جدا، فأقدم النقوش الجنائزية المسيحية المكتشفة في منطقة الأندلسيات (Castra puerorum) تعود إلى سنة 289 م.، وفي مدينة أربال (Regia) إلى سنة 295 م. وفي مدينة ألتافا (Altava) (أولاد ميمون) إلى سنة 301 م. وفي مدينة نومروس سروروم (Numerus syrorum) (مغنية) إلى سنة 344 م. وفي بوماريا إلى سنتي 372/373 م[48]. ويمكن تفسير هذا الوضع ببطء انتقال العقيدة الجديدة من شرق المغرب إلى جزءه الغربي، وما يؤكد هذا البطء أن عدد أسقفيات غرب موريطانيا القيصرية لم

43 - Camps, G. (1990). Qui sont Les dii mauri ,Antiquités Africaines, vol.26, p 132.

44 - Camps, G. L'inscription de Beja, p 257.

45 - Ibid.

46 - El Ouazghani, Abderrahmane (2005). El mundo indigena y Roma en el Marruvecos antiquo, La religion durante los periodos preromano y romano, Granada, p 309.

47 - Camps, G. (1954). L'inscription de Beja et le probléme de Dii mauri, revue africaine n°, 98, p 253.

48 - Fevrier, P. A. Aux origines du christianisme en Mauretanie Cesarienne, Mélanges Ecole Française de Rome.

يتجاوز الخمسة عشر في بداية القرن الخامس[49]. لكن الأمور تغيرت بعد الغزو الوندالي لبلاد المغرب القديم، وسيطرته على شرق موريطانيا القيصرية ونوميديا وإفريقية البروقنصلية، إذ ارتفع عدد النقوش الجنائزية المسيحية بشكل ملفت للإنتباه، ففي سنة 549 بلغ عددها في بوماريا وحدها 651 نقيشة[50]، وتفسير هذا يعود إلى تحول مدن غرب موريطانيا القيصرية إلى ملاذ لمسيحيي إفريقية البروقنصلية ونوميديا، الفارين من اضطهاد الوندال الأريوسيين، خاصة في عهد الملك هونريك.

وقد ساعد لجوء المسيحيين إلى بوماريا على تأسيس أسقفية، مثلها رئيسها المدعو لوجنوس (Longinus) في مجمع قرطاجة لسنة 484 م، وهو الذي تعرض للنفي من طرف الملك الوندالي هونريك بسبب مواقفه المعارضة للأريوسية، صحبة العشرات من الأساقفة الكاتوليك الآخرين[51].

ويظهر أن انتشار المسيحية بغرب موريطانيا القيصرية لم يقض على العادات والتقاليد الوثنية إذ مزجت النقوش الجنائزية التي عثر عليها في بوماريا وبعض المدن القريبة منها، مثل ألتافا (Altava) ونومروس سيرورم (Numerus syrorum) وسوفار (Sufar) بين الوثنية والمسيحية، مما عرضها للنقد من طرف الكثير من المسيحيين في ذلك الوقت، حيث تبدأ بالتقرب إلى أرواح الموتى الأوائل (Diis Manibus Sacrum)[52]، وهي صيغة وثنية رومانية قديمة وهذا ما أثار أمتعاض القديس أوغسطين، الذي اعتبرها عملا وثنيا يجب التخلي عنه[53]. لكن يمكننا إعادة استعمال الموريين ومن جاورهم من الرومان هذه الصيغة إلى عدم تنصرهم بشكل كلي، لذلك احتفظوا بطقوسهم وتقاليدهم الوثنية.

نهاية النفوذ الروماني في بوماريا

عرفت الامبراطورية الرومانية ابتداء من منتصف القرن الثالث ميلادي أزمة سياسية حادة، بسبب الصراع على السلطة، وتدخل الجيش في تعيين من يراه مناسبا لخدمة مصالحه وليس مصالح الدولة الرومانية، ونتج عن هذا الوضع

49 - Notitia provinciarum et civitatum africae, www.documentacatholicaomnia.eu;
- Courtois, C. Les vandales et l'Afrique, p, 92.
- ورد في قائمة المقاطعات والمدن الإفريقية أسماء أبرشة غرب مقاطعة موريطانيا القيصرية، وهي كالتالي: لار كاستلوس (Lar Castellum)، كارتناي (Cartennae) (تنس)، كيزة (Quiza) تيغافا مونكبيوم (Tigava municipium) (الخربة)، كاستلوم تنجتانوم (Castellumtingitanum) (الشلف)، جبساريا (Gypsaria) ألا ملاريا (Ala Miliaria) (بنيان)، أكواي سرانسس (AquaeSirenses) (حمام بوحنفية)، نومروس سيروروم (Numerus syrorum) (مغنية).

50 - Fevrier, P.A., op. cit., p 778.

51 - Courtois Ch., op. cit., p 297.

52 - Ibid, p 784.

53 - Contre Fauste, trad. Sous la direction de M. Raulx, Bon le Duc, 1896, XX, 21.

أن تراجعت هيبتها في المقاطعات، وقد استمرت الفوضى منتشرة حتى وصول ديوقلسيانوس إلى العرش، وقد أدخل إصلاحات عميقة على السياسة الرومانية، ومنها التخلي عن كل المناطق الخطرة، خاصة تلك التي تقع على خط الليمس، والاحتفاظ فقط بالمناطق الخصبة، والتي يمكن الدفاع عنها وحمايتها بسهولة، ومن المناطق التي يظهر أن السلطة الرومانية انسحبت منها، غرب مقاطعة موريطانيا القيصرية، بما فيها مدينة بوماريا، وتبع ذلك تراجع مظاهر الحضارة الرومانية، وعودة الثقافة المورية والعادات والتقاليد المحلية، وزاد هذا الوضع تطورا مع الغزو الوندالي، حيث دخلت منطقة غرب موريطانيا القيصرية في مرحلة لا نعرف عنها الشيئ الكثير، حتى أن كريستيان كورتوا أطلق عليها" مرحلة الظلام الدامس"[54]، بسبب عدم توفر أي معلومات عنها.

يظهر أن بوماريا خضعت ؛ بعد انسحاب السلطة الرومانية منها ؛ إلى حكم زعماء موريين محليين، نجهل كل شيئ عنهم، واستمر الوضع على حاله حتى الغزو الوندالي سنة 429. وتدل المعطيات إن الملك الوندالي جنسريك انطلق من طريفة (Julia traducta) بجنوب إسبانيا ونزل بمدينة طنجة، ومنها توجه نحو نوميديا وإفريقية البروقنصلية في الشرق. وقد اختلف المؤرخون حول الطريق التي سلكها للوصول إلى هدفه، فالبعض يرى أنه سلك الطريق البحري، في حين يرى البعض الآخر أنه اتبع الطريق البري، لكن يبقى الطريق الأول غير مؤكد لبعض الأسباب، منها أن الوندال لم يملكوا أسطولا بحريا يستطيع أن يحمل الأعداد الكبيرة منهم. وثانيا أن الوندال لا يملكون خبرة واسعة في شؤون البحر، بالاضافة إلى ذلك، نعرف أن وجهة الوندال كانت المقاطعات الشرقية للمغرب القديم، فلو اتبعوا الطريق البحري لنزلوا في موانئ نوميديا أو إفريقية البروقنصلية، ليكونوا قريبين من هدفهم.

إن الأسباب سالفة الذكر تجعلنا نميل إلى سلوك الوندال الطريق البري، إذ نعتقد أنهم، بعد نزولهم بطنجة توجهوا نحو الشرق عبر ممر تازة في اتجاه نوميديا عبر مدن موريطانيا القيصرية، وبما أننا متأكدين من مرورهم بمدينة ألتافا، التي وصلوها بعد شهرين أو ثلاثة أشهر من نزولهم بسواحل موريطانيا الطنجية[55]، لا نستبعد عبورهم مدينة بوماريا، التي لم يستقروا بها، إذ واصلوا طريقهم في اتجاه الشرق، حيث وصلوا إلى مدينة هيبون (عنابة) بين شهري ماي وجوان من سنة 430.

لقد عرفت موريطانيا القيصرية، خاصة الغربية منها تطورا سياسيا مهما بعد الغزو الوندالي لها تمثل في بروز كيانات سياسية تحولت في وقت قصير إلى ممالك مورية ونوميدية منها مملكة إيوداس (Iaudas) في الأوراس ومملكة كوتزينا

54 - Ibid, p, 162.

55 - Ibid , p, 162.

(Coutsina) بجنوب نوميديا ومملكة أنتلاس (Antalas) بجنوب شرق مقاطعة البيزاسوم، ومملكة تشمل الغرب الوهراني بغرب مقاطعة موريطانيا القيصرية، كان على رأسها الملك مازونا(Masuna)[56]، وهو ما تؤكده نقيشة عثر عليها في مدينة ألتافا جاء فيها:

" من أجل سلامة وأمن مازونا ملك شعب المور والرومان وبأمر منه شيدت هذه القلعة على يد مسيغفين (Masigivin) حاكم صفار وإيدير (Lidir) وكيل قلعة سفريانا(Severiana) وأكمل أنجازها ماكسموس (Maximus) وكيل ألتافا	Pro sal(ute) et incol(umitate) reg(is) Masunae gent(ium)/ Maur(orum) et pr(a)ef(ectu) de safar(?) Lider proc(uratore) cast(ra) severian(a) quem Masuna altava posuit / etMaxim(us) proc(urator) Alt(avae) perfec(it) (anno) PP(rovinciarum)(?) CCCCLXVIIII

يبرز من هذه النقيشة أن منطقة غرب موريطانيا القيصرية خرجت من السيطرة الرومانية، ولم تخضع للحكم الوندالي، بل خضعت لحاكم موري فرض سيادته على كل سكان الإقليم من موريين ورومان، وهو الوضع الذي استمر حتى الفتح الاسلامي، لأن البيزنطيين لم ينجحوا في فرض سيادتهم على كل أراضي المغرب القديم، بعد طردهم للوندال من المنطقة، إذ بقيت الجهات الغربية منه خارجة عن نفوذهم.

نستنتج مما سبق أن التاريخ القديم لمدينة تلمسان وكثير من مدن غرب الجزائر(موريطانيا القيصرية) يبقى محفوفا بالغموض، لعدم اهتمام المؤرخين والجغرافيين الكلاسكيين بهذه المنطقة، لأسباب سياسية وطبيعية وبشرية، كما أن استمرار الحياة في نفس المراكز تسبب في اختفاء الآثار المادية التي قد تساعد على نفض الغبار على تاريخ هذه الأماكن. لكن المؤكد أن تاريخ المنطقة عريق

---

56 - Camps (G). Rex gentium maurorum et romanorum , Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VI° et VII° siècle, Antiquités africaines, t.20, 1984 , p, 183.

لقد اختلف المؤرخون في تسمية هذه المملكة، فمنهم من أطلق عليها اسم مملكة ألتافا نسبة للمدينة التي عثر فيها على النقيشة التي تذكر الملك، لم مازونا (IIIV.L.I.C, 5389). بينما أطلق عليها كريستيان كورتوا اسم المملكة الوهرانية Courtois (Ch) , op cit , p, 333, note, 9

ينحصر الاختلاف حول الاسم بل شمل كذلك حدودها، فالبعض أوصل حدودها الغربية حتى مدينة وليلي بموريطانيا الطنجية، Carcopino (J), Le Maroc antique , 2° edition 1948, p, 294;

II, 13,19 وفي الشرق مدّت حدودها حتى منطقة الأوراس، و قد اعتمد أصحاب هذا الرأي على ما ذكره بروكيبوس في مؤلفه " حرب الوندال ضد ملك الأوراس إيوداس (Ortaias) مع القائد أورتياس (Mephanias)ابن مفانياس ((Massonas) من تحالف قائد موري يدعى ماسونا لإتهامه بقتل والده مفنياس، وبالتالي وقع ربط الملك الموري مازونا باسم ماسوناس الذي يظهر أنه كان يحكم منطقة قريبة من الأوراس،

Procope, Guerre des vandales, II, 13,20.

يعود إلى ما قبل التاريخ، وهذا ما دلتنا عليه الأدوات الحجرية التي عثر عليها في ضواحي تلمسان كما لا نعتقد أن مكانا بقدراته الاقتصادية الزراعية الواسعة من جهة والاستراتيجية من جهة أخرى لم يجلب اهتمام الإنسان، مثل صفاقس ملك نوميديا الغربية وبوخوس ملك موريطانيا...

أما من الناحية الاجتماعية والدينية، فنعتقد أن معظم سكان المدينة ومحيطها كانوا من الموريين، وأن الرومان لم يفدوا عليها بكثرة، نظرا لصعوبة تضاريسها من جهة، ولبعدها عن المراكز الرومانية الكبرى في المغرب القديم كقرطاجة وكيرتا والقيصرية، من جهة أخرى، وكذلك لانعدام الأمن بسبب التهديدات المستمرة التي كانت تكونها القبائل المتنقلة بجوار خط الليمس، مثل البافاريين، مما نتج عنه تأخر وصول المبشرين المسحيين إليها، وهذا ساعد على محافظة الموريين لتقاليدهم الموروية، والرومان الذين يعيشون بجوارهم على ثقافتهم الوثنية، وهو ما تجلى من كثرة النقوش الجنائزية التي استمرت تحمل الصفات الوثنية. كما أن وقوعها في أقصى الغرب هو الذي سمح لها بأن تتحرر من الاحتلال الروماني دون أن تسقط حتى السيطرة الوندالية قبل غيرها من المناطق الأخرى.

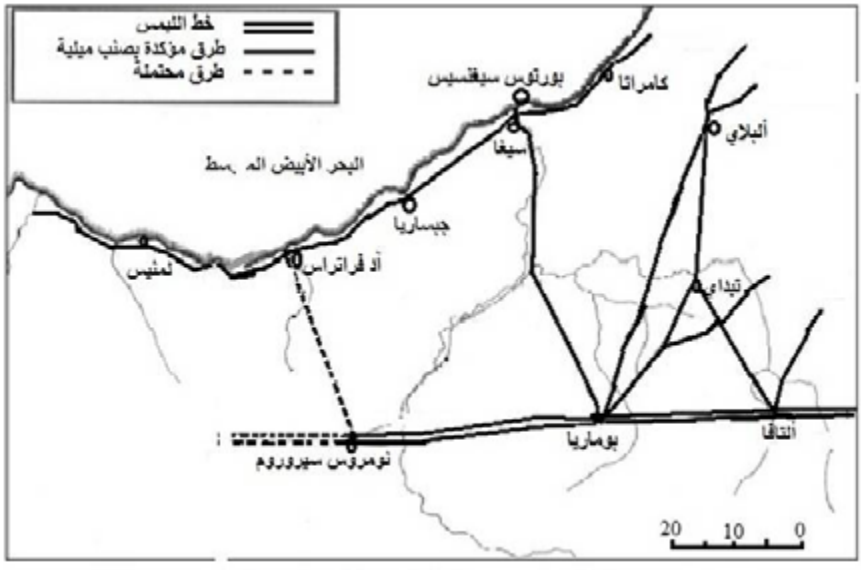

طرقات غرب موريطانيا القيصرية في العهد الروماني ،

Yahiaoui (N), Les confins de la Mauretanie Cesarienne, p, 176

مخطط لمركز الكتيبة الاستطلاعية لمدينة بوماريا حسب جوزيف كنار

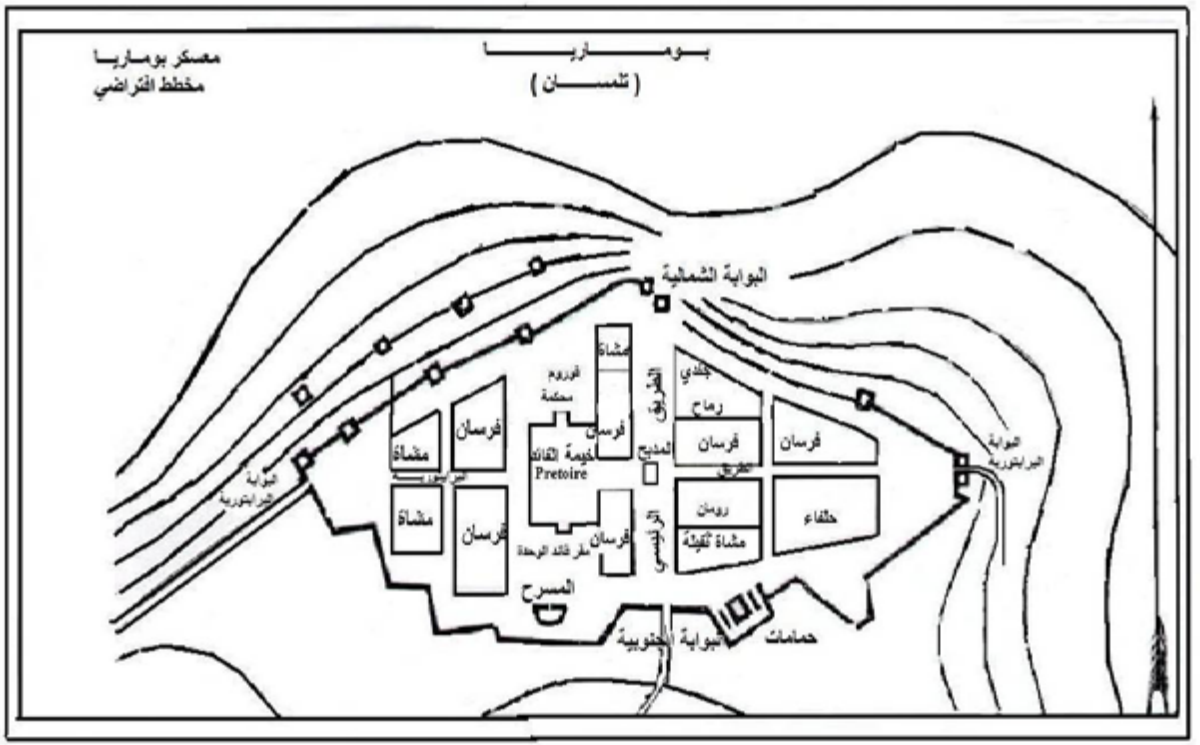

مخطط مركز الكتيبة الاستطلاعية لمدينة بوماريا حسب جوزيف كنار

Ghomari(Fouad), La Medina de Tlemcen, l’heritage de l’histoire , 2007, p,13

شعوب غرب موريطانيا القيصرية حسب ما ورد في كتاب " الجغرافيا " لبطلميوس[1]

قبائل غرب مقاطعة موريطانيا القيصرية

Yahiaoui(Nora), Le confins occidentaux de la Mauretanie Cesarienne, p. 170

المراجع

1 - شنيتي، محمد البشير(1999). الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري، الليمس الموريطاني ومقاومة المور، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

2 - القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (1848). آثار البلاد و أخبار العباد، تصنيف، مصر.

3 - ابن خلدون، عبد الرحمان(2007). كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 4،

1- Laporte, J.P. (2003). Ptolemée et la Maurétanie Cesarienne. C.R.A.I., vol, 147, 1, p 181.

الجزائر.
4 – الظاهري، عبد الباسط (1467). مشاهدات وأخبار في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، الجزء الأول، الورقة à تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الجامعة اللبنانية، بيروت.
5 – أبو عبيد، البكري. المغرب في ذكر بلاد إفريقية و الغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد.

6 - Saint Augustin, Contre Fauste (1896). Notitia provinciarum et civitatum africae, trad. sous la direction de M. Raulx, Bon le Duc, www.documentacatholicaomnia.eu.
7 - Denis, Roques (1990). Procope, Guerre des vandales, II. éd. les belles lettres, Paris.
8 - Corpus Inscriptionum Latinarum (1881). l'Afrique romaine. t. VIII, Berlin.
9 - Aumassip, Ginette (2001). L'abbé Barges (J.J.) : Tlemcen. Journal asiatique, l'Algérie des 1erhommes, 3èmesemestre, t. XI, 1841.
10 - Barbin, (1910). Bulletin d'Oran.
11 - Benseddik, N. (s.d). Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le haut empire. éd. SNED, Alger.
12 - Brahimi, Najet (2008). Volubilis approche religieuse d'une cité de Maurétanie Tingitane : milieu du 1er siècle/fin du 3ème siècle (ap.J.C). thèse de doctorat, janvier, université du Maine.
13 - Cagnat, R. (1892). L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs. Paris.
14 - Camps, G. (1990). Qui sont les dii mauri, Antiquités africaines, t. 26.
15 - Camps, G. (1954). L'inscription de Beja et le problème de Dii mauri. revue africaine n°.98.
16- Camps, G. (1984). Rex gentium maurorum et romanorum : Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIème et VIIème siècle. Antiquités africaines, t.20.
17 - Carcopino, J. (1948). Le Maroc antique, 2ème éd.
18 - Carcopino, J. (1940). La fin du Maroc romain : Mel. archéologie et histoire, v. 57.
19 - Claude, Briand-Ponsart (2005). Identité et culture dans l'Algérie antique : le Havre.
20 - Courtois, Ch. (1955). Les Vandales et l'Afrique. éd. du gouvernement Général de l'Algérie, direction de l'intérieur et des Beaux-arts, service des antiquités, arts et métiers graphiques, Paris.
21 - Fevrier, P. A. Aux origines du christianisme en Maurétanie

Césarienne, Mélanges Ecole Française de Rome.
22 - Gascou, J. (1979). L'emploi du terme Respublica dans l'épigraphie latine africaine. éd. E.F.R.A, vol. 91.
23 - Ghomari, Fouad (2007). La medina de Tlemcen : l'heritage de l'histoire.
24 - Gsell, S. (1997). Atlas Archéologique d'Algérie. 2ème éd., Alger.
25 - Gsell, S. (1979). Histoire ancienne de l'Afrique du nord. Onsabruck, t. I.
26 - Laporte, J. P. (2003). Ptolémée et la Maurétanie Césarienne. C.R.A.I. v.147, 1ère année.
27 - Lenoir, M. (1985). Aulisua dieu maure de la fécondité, Africa Romana.
28 - Mac-Carthy, O. (1856). Algeria Romana : recherches sur l'occupation et la colonisation de l'Algérie par les romains subdivision de Tlemcen. R.Af. n° 1.
29 - Mac-Carthy, J. Voyage dans la régence d'Alger. trad. de l'anglais par Tunis.
30 - Marçais, G. (1950) Tlemcen : les villes d'art célèbres, éd. H. Laurens, Paris.
31 - Marmol, y. carvajal, (1667). L'Afrique. trad. Nicolet Perrot, éd. L. Billaine, Paris.
32 - M. de la Martiniere, Bulletin archéologique, 1912.
33 - Massiera, P. (1947). La voie romaine de Pomaria a Siga : Takembrit. éd. B.S.G.A.O., t. 68.
34 - El-Ouazghani, Abderrahmane (2005). El mundo indigena y Roma en el Marruvecos antiquo : la religion durante, los periodos preromano y romano. Granada.
35 - Pallary, P. (1895). Recherches palethnologiques effectuées aux environs d'Ouzidan. bulletin de la société d'anthropologie de Paris, IVème série t. 6.
36 - Piesse, L. (1888). Tlemcen. revue de l'Afrique française et des antiquités africaines, t.6.
37- Le commandant de Pimodan (1902). Oran, Tlemcen sud oranais 1889-1900, Paris.
38 - De Tugny, M. (1855). Antiquités romaines de la subdivision de Tlemcen, Algérie. congrès archéologique de France, 22ème session.
39 - Schmidt, Joël (1965).Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, edition Larousse, Paris.
40 - Yahiaoui, Nora (2003). Les confins de la Maurétanie césarienne occidentale, thèse de doctorat.